الحسين السبط

والعقيدة

بقلم الاستاذ كمال الجبوري

لابد لارتباط العقل الانساني بالدرجات العليا من الكمال الروحي ولايصال الوشائج بين الجسم الفاني والروح الخالدة وللمقارنة والمقاربة بين الناسوت المجسم واللاهوت المتسامي اقول لابد لكل هذه من روابط توازن بينها وتعدلها لئلا تطيش الحلوم ويستغرق الفكر في مجالي التصاعد الحسي القهري صعداً يتحول بها النظر من المحسوس الى ماسميه بالتداعي اولا تتمكن حواس البشر وهي محدودة محازة من حصرها في اطار تحرزها من المروق الا بالقناعة والتمكين، ولاتكون القناعة الا بالايمان الروحي المتأتي من الاعماق والصادر عن الارادة والمدفوع من الباطن الخفي من الوجدان وكان لابد لهذه القناعة الموسومة بالايمان المترابطة بالعلل الثابتة من اوشاج تربطها بالحسن واسباب تعقدها بالنفس ، الا وهي التي نسميها بـ [العقيدة] استخلاصا من معنى عقدها المتين واستنتاجا لما توجده في النفس من رضى مستبين وعلى هذا الاساس البين والنهج الواضح بنى علماء « البيدالوجيا » من القدامى قواعدهم المنطقية لترسيخ العقائد فافردوا لها فصولا كاملة ووصفوا لها الحدود البينة والاسس الثابتة ، وابانوا مايعتورها من علل ويصيبها من زلل وما يقومها من اسباب ويمركزها من عوامل حتى اصبح علماً قائماً بذاته يتدارسونه ويعتمدون عليه ويتدالون.

ولقد جاء المصطفى بلاهوته القويم ونهجه المستقيم لاناسي من الاميين فتقبلته فئة فتح الله على بصيرتها بالهدى والفقه والتقرب من ذات الباريء المصور لدرجة ان احدهم كان من المعرفة والقربى الروحية بان لو كشف له الغطاء ما ازداد يقيناً ، وتقبلته فئة اخرى كان العمى قدران على بصيرتها والضلال قد تطابق على نفوسها وعصبية الجاهلية لجرقاء قد عسلت طريقها فعزفت عن الهدى ودين الحق اطوارا واخيراً تقبلته بالقوة وان كانت لتكيد له سراً وجهارا .

ومضى الاسلام قدماً والقلوب الآسنة لم تطهر من الاوشاب والحفائظ الدنية لم تطر الا على الريث المحض وان كانت صورها لتظهر في التكالب على العرض الزائل والمتع الفانية بما فيها من ادران وخبث ظاهر للعيان .

وتعاقبت الايام ، فتعاملت اسباب الريب وعوامل الظنون الخفية من النفوس المريضة حتى تزاحمت تزاحم اللاعبين على الاكر وتكالبت عليه حتى اصبح الأمر ملكا عضوضاً جائراً كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا

انيس ولم يسمر بمكة سامر

وكان لابد من امام يفتل وشائج العقيدة المهلهلة من بعد قوة ويبرم ربطها بعد النكث ويمتنه بعد النقض . فكان الامام وكان النصح المحض والنزاهة الحرة والرجوع الى الرأي ولكن!! انى لهم الرجوع اليه وقد ضيعوه والرضا بالعقل والعاطفة غلابة وخبث الحرائن جياش والقوم في فوضى الجاهلية يتخبطون وفي العصبية القبلية يتمسكون فلم تفد ضحايا صفين والمرج والنهروان لتدعيم النفوس الحاردة بالايمان .

وسار الزمن ، وقافلة الريب والاهواء تدوس العقيدة المحضة فتفرقت الآراء شيعاً حتى كادت النفوس ان تمس من الحقيقة والهدى خلاءً وان يخفت صوت المنادي بحي على الفلاح صبحاً ومساءاً ، لولا ان ينهض السبط نهضته فيهز الدنيا وينادي ان « لا » فزلزل الآفاق بندائه . لا ! لا يخفتن صوت الحق والفلاح ولا يغمر الفساد على الصلاح وفي قطرة من دماء ونفس من اباء وعزيمة ومضاء .

وكان في خروجه وقطعه الحزون والنجود ليل نهار ومن اخذه العهد من شيعته ومواليه عبرة وموعظة . وكان في استشهاده هو وصحبه الغر الميامين بناءاً للعقيدة لا يهد وتجديداً للدين الحنيف لا يصيبه القدم .

ففي خروجه وتجشمه الصعاب مع اطفاله ونسائه عبرة للزعامة الحقة وفي اخذه العهد من مواليه موعظة حسنة تذكرهم باجتماع كلمتهم على ولائه، وثم بخروجهم عليه وتفريطهم بابن رسول الله .

واني لأرى في هذا البكاء المساوق للزمن طوال الاحقاب